بينما كانت غالبية دول العالم الثالث تصل إلى نهاية المطاف في صراعها مع قوى التمزق السياسي والتخلف الاقتصادي، كانت أدوات الدول الكبرى التي استخدمت من أجل السيطرة على العالم تستنفد قواها وتفقد فاعليتها. وعلى سبيل المثال، بينما لعبت القوة العسكرية الاميركية دوراً حاسماً في انهاء الحرب العالمية الثانية واعادة صياغة العلاقات الدولية في الاربعينات، فشلت تلك القوة، فشلاً ذريعاً، في ايقاف المد الثوري في فيتنام في أوائل السبعينات. ومن ناحية أخرى، بينما أظهر الاتحاد السوفياتي قوة وأدارة عسكرية فائقة في الخمسينات والستينات، في اثناء قيامه بإيقاف التحولات الليبرالية في هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا، أظهر عجزاً عسكرياً وقصوراً في ادارة العمليات العسكرية في افغانستان، في الثمانينات.

وفي الحقيقة، لم تكن الهزيمة الاميركية في فيتنام والعجز السوفياتي في افغانستان نتيجة لتراجع القوة العسكرية، أو تخلف الادارة الحربية، لأي من الدولتين، بل نتيجة لتغير الظروف والمعطيات التي ما زالت تتحكم في توازن القوى بين الدول، وداخل الدولة الواحدة.

لقد شهدت الاربعينات والخمسينات، وإلى حد كبير الستينات، أيضاً، امكان استخدام القوة العسكرية، بشكلها المطلق، لتحقيق أهداف سياسية استراتيجية. الا أن تقدم وسائل الاتصال، خاصة الجماهيرية منها، أدى إلى ازدياد قدرة الجماهير على مراقبة أعمال الدولة، وبالتالي المساهمة في توجيه سياستها. وهكذا، لم يعد في امكان القيادة السياسية استخدام القوة العسكرية دون اعتبار لردود الفعل على الساحة الداخلية؛ كما لم يعد في امكان القوة العسكرية التخطيط للقيام بالمهام المنوطة بها دون حساب ردود الفعل الدولية. وفي ضوء توازن القوى الدولي، أصبح من شبه المستحيل ارسال قوة عسكرية للتدخل في شؤون دولة أجنبية دون أن تواجه تلك القوة بتحديات مماثلة من القوى المنافسة الأخرى، ذات المصلحة في احباط القوة الاولى والحؤول دون نجاحها في تحقيق أهدافها. وفي الوقت عينه، أصبحت الخسائر على ارض المعركة، خاصة البشرية والاقتصادية، المقياس الذي يقيس عمق ونوعية المعارضة الجماهيرية ويحدد مصداقية وشعبية القيادات السياسية. ولذا، شهدت السبعينات تبلور حدود القوة العسكرية وتراجع امكان استخدامها اداة لتحقيق أهداف سياسية استراتيجية.

في ضوء تلك التغيرات، اضطرت الدولتان العظميان إلى البحث عن أدوات جديدة للتدخل الخارجي ووسائل مبتكرة لتحقيق الأهداف الخاصة. ولذا، أصبحت الدولة ـ الاداة وسيلة التدخل الخارجي الرئيسة واداة حماية مصالح القوة العظمى الاساسية. كما أصبحت المعونات الاقتصادية والعسكرية، وسيلة هامة لضمان ولاء الدولة ـ الاداة وتنمية قدراتها وتشجيعها على القيام بالدور المنوط بها. وفي بعض الاحيان، أصبحت الدولة ـ الاداة، وذلك كما هو الحال بالنسبة إلى اسرائيل، شريكاً للدولة العظمى، وان كانت الشراكة بقدر، والفوائد بحدود؛ اذ من خلال تلك الشراكة أصبح في امكان القيادة السياسية في اسرائيل تبرير القيام بدور الاداة في حماية المصالح الاميركية في المنطقة العربية ودعم القوى المناوئة للشيوعية في مختلف بقاع العالم الأخرى.

ان العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية، اليوم، هي علاقة فريدة في نوعها، وذلك لأنه لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات الدولية؛ اذ بينما تقوم الولايات المتحدة بامداد اسرائيل بمعونات عسكرية، واقتصادية، وتكنولوجية، كبيرة للغاية، تقوم اسرائيل باداء كل الاعمال القذرة نيابة عن أميركا وحماية لمصالحها وانسجاماً مع توجهات ورغبات أكثر القوى الاميركية عداء لحركة تحرر